كلمة الحياة

تشرين الثاني/ نوفمبر 2022

"طوبى لِلرُّحَماء، فإِنَّهم يُرْحَمون" (متّى 5، 7)

ترِد عظة يسوع الكبرى على الجبل في إنجيل متّى بعد ابتداء حياته العلنيّة. ويرمز الجبل إلى جبلِ سيناء جديدٍ حيث المسيح، وهو موسى الجديد، يقدّم "شريعته". نقرأ في الفصل السابق عن الجموع الكثيرة التي بدأت تتبع يسوع والتي كان يوجّه إليها تعاليمه. أمّا هذا الحديث فيتوجّه به يسوع إلى تلاميذه، إلى الجماعة الناشئة، إلى الذين سيُدعون في ما بعد مسيحيّين. إنّه يمهّد "لملكوت السموات" الذي يشكّل جوهر بشارة يسوع[1]. فالتطويبات تمثّل برنامج هذه البشارة ورسالتها الخلاصيّة. إنّها "خُلاصةُ البشرى الجديدة كلُّها، الّتي هي تَجَلٍّ لمحبّة الله الخلاصيّة"[2].

"طوبى لِلرُّحَماء، فإِنَّهم يُرْحَمون"

ما هي الرحمة؟ ومن هم الرحماء؟ تبدأ آية الإنجيل بكلمة "طوبى"[3]، التي تعني السعادة والغبطة، وتتّخذ أيضًا معنى بركة الله. وهذه الآية تحتلّ الموقع المركزيّ من بين التطويبات التسع في النصّ. إلّا أنّ هذه التطويبات لا تهدف إلى الإشارة إلى التصرّفات التي تستحقّ المكافأة، بل إنّها تشكّل فُرَصًا حقيقيّة لكي نتشبّه أكثر فأكثر بالله. فالرحماء بشكل خاصّ، قلبُهم مُفعم بالمحبّة لله وللإخوة، تلك المحبّة العمليّة الملموسة التي تنحني تجاه الآخِرين والمنسيّين والفقراء، وتجاه المحتاجين إلى هذه المحبّة التي هي من دون مصلحة. فالرحمة هي بالفعل إحدى صفات الله[4]؛ ويسوع نفسُه هو رحوم.

"طوبى لِلرُّحَماء، فإِنَّهم يُرْحَمون"

تُحوّل التطويبات مبادئ تفكيرِنا الأكثر شيوعًا، وتقلبها رأسًا على عقب. إنّها ليست كلمات معزّية فحسب، بل تملك قوّة تغيير القلب، والقدرة على خلق إنسانيّة جديدة، وتفعِّل إعلان الكلمة. ينبغي أن نعيش

---

[1] انظر متّى 4: 23 و5: 19، 20.

[2] كيارا لوبيك، كلمة حياة شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 2000.

[3] باليونانيّة مكاريوس التي تُستخدم في الوقت نفسه لوصف حالة سعادة الكائن البشريّ وغبطته، والحالة المتميّزة للآلهة مقابل حالة البشر.

[4] بالعبريّة حسد أو hesed، أي محبّة من دون مصلحة، تتقبّل الآخر وتغفر له.

تطويبة الرحمة مع أنفسنا أيضًا، وأن نعترف بحاجتنا إلى تلك المحبّة الكبيرة الفائضة العظيمة التي يكنّها الله لكلّ واحد منّا.

كلمة الرحمة مشتقّة من "الرحم" وهي تشير إلى الرحمة الإلهيّة اللامتناهية، وتشبّهها بعلاقة الأمّ الشفوقة العطوفة بطفلها. "إنّها محبّة بلا مقياس، وافرة، شاملة، ملموسة. إنّها محبّة تدعو إلى المبادلة التي هي الغاية النهائيّة للرحمة. [...] فإذا كنّا قد تلقّينا بعض الإساءات وبعض الظلم، دعونا نغفر، فيُغفَر لنا. ولِنَكن المبادرين إلى الرحمة وإلى التعبير عن رأفتنا وتعاطفنا! وحتّى وإن بدا لنا الأمر صعبًا ومعقّدًا، لنسأل ذواتَنا، أمام كلّ قريب: كيف كانت ستتصرّف أمُّه تجاهه؟ هذه الفكرة ستساعدنا على الفهم والعيش بحسب قلب الله"[5].

"طوبى لِلرُّحَماء، فإِنَّهم يُرْحَمون"

"بعد عامين من زواجهما قرّرَت ابنتُنا وزوجُها أن ينفصلا. استقبلناها من جديد في بيتنا، وفي الأوقات العصيبة سعينا إلى أن نحبَّها متحلّين بالصبر، وفي قلبنا المغفرة والتفهّم والرحمة، ونحن نحافظ على علاقة انفتاح نحوها ونحو زوجها، ونحاول بشكل خاصّ ألّا نُطلِق الأحكام. بعد ثلاثة أشهر من الإصغاء، ومن المساعدة الخفيّة، ومن الصلوات الكثيرة، عادا لبعضهما بإدراك جديد وبثقة ورجاء"[6].

إنّ الرحمة في الواقع تفوق المغفرة. فالرحوم قلبُه كبير، يريد أن يُلغي ويحرقَ تمامًا كلّ ما يمكن أن يَعوق علاقته مع الآخرين. بدعوة يسوع إيّانا كي نكون رحماء، قدَّمَ لنا طريقًا كي نقترب من مخطّط الله الأصليّ علينا، فنصير ما خُلِقنا من أجله: كائنات على صورة الله ومثاله.

ليتيتسيا ماغري *Letizia Magri*

[5] كيارا لوبيك، كلمة حياة شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 2000.
[6] اختبار مأخوذ من الموقع الالكترونيّ للفوكولاري www.focolare.org